بعد «انجازه» في تسهيل احتلال العراق:

النظام العربي يعمل على تصفية أمل الامة بالمقاومة

حمدان حمدان*

■ لا نبتغي ان ننشىء خطابا مكرورا عن اسرائيل، ولا خطابا مكرورا عن انظمة عربية جعلت من اسرائيل كيانا خرافيا وقدرا لا راد له، ولا خطابا ثالثا عن تاريخ الولايات المتحدة ومواقفها في مكاييلها المختلة مع تشطير عنصري ولااخلاقي للعالم، بين محوري خير وشر.. فالخطاب من هذا النوع، او ما هو على شاكلته، بات غاية في الممجوجية، طالما ان الشكائيات في التوصيفات وفوقها دموع العالم، لا تنصر مظلوما، ولا تنتج لأمة اقرأ غير الكلام. فاسرائيل هي هي من جابوتنسكي الى اولمرت بوسيط شارون، والانظمة العربية هي هي، منذ ضياع الثورة العربية الكبرى، الى ضياع العراق مرورا بفلسطين، اما مواقف الولايات المتحدة، فتاريخها جاهز، اذ يكفي القول بانها الدولة الثانية في الاعتراف بوعد بلفور، بعد بريطانيا بالطبع، والدولة الاولى في اعترافها بالكيان الاسرائيلي لحظة قيامه.

لا مجال لاعادة انتاج اللغة ذاتها، فطالما اننا نعيد عجن هذه اللغة ولوكها، فاننا نراوح في المكان المهزوم، فيما اعداؤنا يتقدمون علينا بالقرون، فما من مواجهة خضناها، الا وكانت الطامة الكبرى فوق رؤوسنا، وما من حرب دخلناها، الا وكانت نتائجها في الموقع المعكوس لاهدافها، فيما يمنح وسام الظفر لاسرائيل التي لا تقهر!

وفي الحقائق الموضوعية، ان ظفر اسرائيل في كل مرة، كان يجيء من ضعفنا، وارتجالنا وعدم استعدادنا في ذرائعنا وتلاوين التضليل على شعبنا، باظهار المشهد غير ما هو عليه، ففي كل حالة بعد النكسة، كانت تقدم لنا، تحليلات واستنتاجات ما انزل الله بها من سلطان، وعلى سبيل المثال، فان اسرائيل في حرب العام 1967 الكارثية، (لم تنتصر لان غايتها اسقاط النظام السياسي.. ولم تستطع)!

وفي دراسة اكاديمية محترمة، فقد تم تصوير حالة النظام العربي وهو يخوض حربا بجملة من عناصر: (الاتكالية، والانفعالية، وسلوك التقليد، والكلام دون التنفيذ، واحتكار القرار، والمستوى المهني للقادة، والثقافي لاصحاب القرار..) والمشكلة ان ما ظل يوضع على كاهل الاخطاء، ظل هو نفسه في حالة ولادة برجعة ثاينة دون تعديل او تصويب، فما هو وصف الناس الذين لا يستفيدون من تجاربهم؟!

ما يحدث في فلسطين ولبنان اليوم، هو ان فئة نوعية قليلة مؤمنة من مئات ملايين، تصارع العتو الاسرائيلي بالظفر والناب، وهذه الفئة القليلة المؤمنة، في فلسطين والعراق ولبنان، اسمها المقاومة، وقد خلقت هذه المقاومة، على قليل عديدها، وتواضع امكانياتها، حالة ذعر لا في اسرائيل فحسب، بل والعالم الضامن لامنها وتفوقها، ففي ايام قليلة من المجابهة مع حزب الله، ظهرت حقيقة من حقائق الدولة التي لا تقهر، ففيما كانت تسرح وتمرح بغير حساب، فانها تعد الى العشرة قبل اية خطوة عسكرية او سياسية، فاذا كان حزب الله مع مقاومة فدائية فلسطينية محاصرة، قد اقلقتا الامن الاسرائيلي المدجج منذ عقود، الى هذه الدرجة، فكيف اذا كان الحال مع انخراط حشود عربية جرارة من سورية والاردن ولبنان ومصر والسودان واليمن.

ولماذا لا يفتح النظام العربي الطريق لدعم هذه المقاومة وتعزيزها بالمال والسلاح وكل ما يلزم لتوسيع دائرة المجابهات، بحيث يمكن تشتيت القدرة الاسرائيلية، فلا يعود لاسرائيل قيمة الشريك المحاصص لامريكا في المنطقة بكامل الجدارة والاهلية.

ان توسيع دائرة المجابهات، بفعل ارادي قومي شعبي ورسمي، هو ما يعطي صك الغفران، لنظام عربي، ظل يعيش عار الاستعانة بالخارج، فيما هو النكال على امته ومصير شعبه.. فالمواجهة مع اسرائيل اليوم، تدرجية وتصاعدية، وهو تكتيك يرمي لاخفاء الاستراتيجية ما بعده، اذ قبل احتلال بيروت في العام 1982، كان الشعار في حملة اصبع الجليل هو (اربعون كيلومترا خلف الحدود الدولية لابعاد العمل الفدائي الفلسطيني)، فاذا هم بعد ثمانين يوما من القتال، يتجولون في شارع الحمرا في قلب بيروت.. ولما كانت المقاومة الوطنية اللبنانية، هي عامل طردهم الاساس من لبنان، فانهم لن يكرروا الخطأ في البقاء، بل انهم سيعمدون الى استراتيجية اخرى تقوم على الاكتفاء بتحقيق هدفين، تدمير البنية التحتية، مع محاولة ضرب المقاومة المتمثلة في حزب الله، باستثمار التفوق الجوي مدعوما بالقرار 1559، الداعي لتجريد المقاومة من سلاحها، لكن التداعيات على ارض المعركة، تشير الى تطورات مفاجئة من شأنها قلب المعادلة التي خبرتها اسرائيل وظلت تعمل عليها من خلال انكسار التوازن المفرط بينها وبين مجموع القوى العربية النظامية منها وغير النظامية، فاليوم تضرب المقاومة اللبنانية مواقع لم تكن في الحسبان، من نهاريا الى صفد فجبل الجرمق وصولا الى عكا، بل وربما حيفا الى ما بعدها، كما ان المفاجأة الاخرى، كانت في قدرة حزب الله، على اصابة بارجة حربية اسرائيلية في عرض البحر قبالة شواطىء بيروت، وهي ابعاد جديدة لها وزنها الاستراتيجي في المعركة، فطوال ثمانية وخمسين عاما، لم تعهد اسرائيل حربا مع الجيوش العربية، كان من شأنها الوصول الى قلب الكثافات السكانية للدولة العبرية، كما ان هناك فجوة عميقة تمثلت في قلب الجهد الاستخباراتي الاسرائيلي، وهو يدفع بقوته العسكرية الى مواجهة، لا يعلم ما الذي يملكه الطرف الاخر فيها، فاسرائيل طوال وجودها، ظلت تعرف عن الجبهات العربية، ما لا يعرف قادتها عنها، من مطارات وطائرات وقواعد وتحصينات وتجمعات وآليات ومراكز قيادة ومضادات جوية.. وسواها، اما هي الان، مع حزب الله، فانها اقرب ما تكون الى العماء، وهي ميزة عظيمة لصالح الجهد الحربي لاعمال المقاومة، ومع ان المعارك في بداياتها الايجابية، الا ان انظمة عربية متمثلة في السعودية ومصر والاردن، وبدلا من استثمار الوضع الاسرائيلي المضطرب، للضغط على امريكا، باظهار لامعقولية الاستخدام المفرط للقوة ضد المدنيين في غزة والضفة ولبنان.. فانها راحت تضع المسؤولية على كاهلي حزب الله وحماس، ووصف ما يجري بانه مغامرة غير مسؤولة، بل ومقامرة من حزب الله باتجاه المجهول.

وهكذا، فانه اضافة لهذا النوع من النظام العربي، في (انجازه التاريخي) بالتحريض وتسهيل احتلال العراق، فانه يعمل اليوم، من اجل تصفية ما تبقى للامة من آمال، فهو يقترح من باب الحكمة، اعادة الاسرى الاسرائيليين دون قيد او شرط، اما المقابل المطلوب من اسرائيل، فهو وقف اطلاق النار، وهو طلب امريكي ـ اسرائيلي بامتياز، ويعكس هذا الموقف، دلالات صريحة وواضحة، وهي ان هذا النوع من النظام العربي، لا يتحدث بارادته، بل بما يملى عليه، ولا حاجة لتكرار الشواهد الدامغة منذ ما قبل احتلال العراق الى يومنا هذا، اذ لولا فتح الارض والسماء والماء لقوات الغزو، لما كان بمقدور امريكا ان تطأ العراق، اما اليوم فان السيناريو يتكرر من اجل شرعنة الغزو الامريكي ـ الاسرائيلي للبنان، وربما الى ما بعد لبنان باتجاه سورية وايران، فالتدرجية في توسيع دائرة العدوان، سمة عسكرية اسرائيلية، اما ضربة الصدم والترويع، فسمة عسكرية امريكية اخرى.

لقد طال صبر شعبنا على مواقف، ظل يظن بقابليتها للاصلاح، وكان يمكن ان يكون ذلك، لو ان الامر اتصل باخطاء غير متعمدة او مقصودة، لكن حال هذا النوع من النظام العربي، كحال الدهر الذي لا يصلحه العطار، فقد استمد اسباب نشوئه وبقائه وحمايته.. من سادة القرن البريطاني وصولا الى سادة قرننا الراهن، فهم ووعود التغيير كماء السراب، والشاهد انهم اغلقوا افواههم على كثير، انهم في مقبرة الصمت لما يسيل في العراق من دماء، وهم في عار التلطي تجاه ما يجري لشعب فلسطين من ابادة، اما عقيرتهم في ضجيج اصواتهم، فقد ارتفعت على مقياس ريختر الامريكي، فيما يتعلق بتحميل المسؤولية على ظهر حزب الله، فكل ما جرى قبل الاحداث اللبنانية ومعها، من محمد الدرة الى هدى غالية وصولا الى عبير العراقية فميادة اللبنانية (قتل عشرون من عائلتها في قرية مروحين اللبنانية بالقصف الجوي الاسرائيلي المتعمد)، لا تهتز لها جلود التماسيح في القصور، فكيف بوجوههم وهم يرطنون بحكمة الجزوع الخائف على ضياع ملكه واملاكه!

فالنظام العربي من هذا النوع، يعلم يقين العلم، بانه يحكم شعبا لا علاقة له به، ويستصدر قرارات اقل ما فيها، انها للخارج وليست للداخل، اذ من هو المستفيد من تحميل حزب الله المسؤولية سوى امريكا واسرائيل، ومن هو المستفيد من تحميل حماس المسؤولية، كي يجري عقاب جماعي لشعب فلسطين، الى درجة الموت تحت اشعة الشمس على المعابر المحروسة من اسرائيل، وهل يجهل هذا النوع من النظام العربي كل هذه الحقائق، فاذا كان يجهلها فهو جاهل بكل شيء، بل ان الجاهلية قبل الاسلام، افضل منه، واذا كان لا يجهلها فلماذا يقدم عليها، بكل الصفاقة والمروق؟ فالسعودية تتحدث عن مقاومة شرعية واخرى غير شرعية، ونحن ابناء الامة، لم نصادف مقاومة سعودية رسمية، شرعية او غير شرعية، منذ ان اعلن الملك المؤسس حربه على القبائل في الجزيرة العربية، فاذا كانت السعودية الرسمية، هي مستودع التشريع، فلماذا لا تشرعن، للجهاد ضد العدو الصهيوني، وهو فريضة عين على كل مسلم ومسلمة، لماذا لم تفتح فمها، فيما العدو الاسرائيلي يمزق اوصال غزة والضفة دون حسيب او رقيب؟!

لماذا تتفلسف، وكأنها في محكمة عدل كونية، فتلقي بالمسؤولية على كاهل طرف عربي اسلامي مقاوم، لصالح طرف يهودي غاصب والغ بدماء العرب والمسلمين.

فهل الحكم بالمسؤولية كان بطلب العدالة لذاتها، ام بطلب الاسترضاء من السادة ما فوق السيادة؟

فاذا كانت العدالة لذاتها، من مقاصد النظام السعودي او المصري او الاردني.. اذا فلننتظر قيام الساعة!

* كاتب من فلسطين يقيم في سورية

تعبير المقاومة عن ارادة الأمة يتجلى في التصدي والاقتحام كما في الصمود والدفاع عن الحقوق:

معركة استراتيجية اخرى على درب نهضة عربية

منذر نعمان الاعظمي*

■ انها معركة تزداد شراسة يوما بعد يوم، وتنذر بدمار كبير في لبنان، تكرارا لما حل به في الماضي القريب.

ولكنها تنذر ايضا هذه المرة ولأول مرة منذ عقود، بدمار مواز في اسرائيل نفسها. وهذا الجانب الثاني يبشر بتغيير كبير في موازين القوى في المنطقة والعالم، يوازي التغيير الذي احدثة فشل المشروع الامريكي في العراق بعد بروز وتصاعد المقاومة العراقية الباسلة.

فقد انتقل قصف الصواريخ العربية من مستعمرات الحدود يوم الخميس 13 تموز (يوليو) الى مدن صفد و نهاريا يوم الجمعة، ثم الى مصايف طبريا يوم السبت، ثم الى حيفا يوم الاحد، جوابا متدرجا على تصعيدات العدوان الاسرائيلي على بيروت والبقاع. لذلك فر المستوطنون اولا ثم هرع حوالي مليون من الاسرائيليين في المدن الى حياة المخابىء، وانهار الموسم السياحي هناك كما في لبنان، وانتقلت الهموم الى احتمال استهداف المصافي البيتروكيمياوية والمرافق الاخرى. وقد يرعوي جنرالات اسرائيل بعد ان اعترفوا ان للمقاومة اللبنانية مئات الصواريخ وبعضها تصل الى تل ابيب وبئر السبع، وقد يضبطون تصعيدهم وفق قواعد جديدة. ومن جهة اخرى فقد تتوسع دائرة الدمار والحرب، وقد تؤدي الى تدخلات دولية اوسع نطاقا، لان مصير السيطرة الامريكية في العالم معتمد على الهيمنة الاسرائيلية المهددة اليوم.

في الوقت نفسه، فان المعركة تبشر سياسيا واجتماعيا بانخراط ملايين جديدة من الشباب العربي في المعركة التاريخية للعرب والمسلمين، ايضا لاول مرة منذ عقود، وما ينيع ذلك من تخلل سيطرة ثقافة الخنوع والاستهلاك الطفيلي والارتزاق التي هي اساس السيطرة الاستعمارية في المنطقة. واذا لم تعاود هذه الاجيال الجديدة من المقاومين ممارسة اخطاء الفورات الوطنية السابقة في العنجهية وفوضى الزعامات والفساد، فقد نكون هذه المرة واقفين امام عتبة مرحلة جديدة تربط بين الرفض والمقاومة من جهة وبين البناء والتطوير الذاتي. فهذا التطور والبناء لا يتم بالمقاومة وحدها بل بضمان الاحترام المتبادل بين الاطراف الوطنية والشرائح الشعبية، وبضمنها احترام البنى الاجتماعية الاهلية وتقاليدها بل البدء منها في البناء الحضاري المتقدم المتميز والمنفتح في آن واحد.

الحديث عن شرط الاحترام المتبادل بين القوى الوطنية ليس خروجا عن سياق الاحداث.

ففي خضم المعارك تستمر المناوشات الاعلامية في الصف الوطني، في بعض مواقع الانترنت مثلا، عاكسة الشروخ العميقة بين بعض التيارات القومية والاسلامية. فالتشكيك يستمر مثلا في ان توقيت المعركة الحالية يخدم هذه الجهة او تلك، وهو تشكيك يوازي بشكل مؤسف مواقف الحكومات العربية المتخاذلة. لقد سادت حالة التشكيك وافتقاد الثقة التام لسنين عديدة وتزايدت في تقييم تصاعد واستراتيجيات المقاومة العراقية من قبل بعض الاطراف العربية ومنها حزب الله، وهي الآن تستمر في تقييم تصاعد واستراتيجيات المقاومة اللبنانية والفلسطينية من قبل الاطراف الاخرى ومنها من هو مرتبط بالمقاومة العراقية. ان بعض هذه المناوشات يعكس انفاسا طائفية لا شك فيها، وبعضها الاخر، (وهذا ما نتصوره اقل ضررا من الطائفية) منافسة بين اطراف يرفضون حتى الجلوس فيما بينهم للحديث عن خلافاتهم. وهذه مواقف تعكس مستوى حضاريا بين الزعامات والمثقفين الحزبيين المرتبطين بهم، لا زال مشبعا بالنفس البدوي و القبلي الذي يترفع عن مصافحة غريم او خصم ويتصرف بين قطبين فقط: العدو او الحليف، رافضا حالات المنافسة والندية والخصومة المدنية الشريفة. وفيما بين هؤلاء وهؤلاء يقف عقلاء هذه الامة في المؤتمر القومي ومنظماته التي امست اهم ما بقي من فكرة العروبة المنفتحة، سائرين في درب توحيد القوى ودعمها بالفكر والثقافة واساليب العمل الديمقراطية، وقد كانوا المبادرين لربط المقاومة في فلسطين والعراق ولبنان في اطار وطني عربي اسلامي واحد تثبته الاحداث.

وهاكم وقفة المؤتمر القومي العربي عن المعركة الحالية جوابا على التشكيك العربي الرسمي بها:

«ان عملية الوعد الصادق البطولية التي نفذها مجاهدو المقاومة اللبنانية وادت الى اسر جنديين صهيونيين وقتل عدد آخر لم تكن مغامرة غير محسوبة ولخدمة اطراف اقليمية، بل هي عملية نوعية رائعة اعتزّ بها كل عربي ومسلم بعد سنوات من الشعور بالخيبة والاحباط، وبعد اسابيع من الصمت الرسمي المريب ازاء العدوان الوحشي على غزة، وهي عملية محسوبة تخطيطاً وتنفيذاً في اطار الهدف المحدود لها وهو اسر جنود لمبادلتهم مع الاسرى اللبنانيين والفلسطينيين والعرب في سجون الاحتلال.

«ان قيادة المقاومة لم تخف منذ فترة طويلة نيتها الاقدام على اسر جنود صهاينة لانجاز عملية التبادل، وهو ما ينفي اي ادعاء بان احداً في الحكومة اللبنانية او الشعب اللبناني او في المحافل العربية او الدولية لم يكن على علم بنية المقاومة، ولم يصدر اي بيان عن اية جهة يرفض هذه النية لدى المقاومة، اما وضع الجميع في تفاصيل العملية وتوقيتها فهو امر غير معقول كما يعرف الجميع.

«ان التشكيك عن توقيت العملية يتجاهل ان المقاومة حاولت مراراً اسر جنود صهاينة، وفي بعض الاحيان كانت تجري اشتباكات على هامش هذه العمليات.

ولذلك نرى ان توقيت العملية لم يكن مرتبطاً اذن الا بظروف نجاحها وليس باعتبارات اخرى وهذا ما اكدته المقاومة».

ان هذا الموقف المبدئي يشير بوضوح الى الدور الرائد للمقاومة العربية الاسلامية اللبنانية.

فلقد بدات هذه المعركة بعد اسابيع طويلة من الصمت العالمي عن مجازر الصهيونية في غزة وبقية فلسطين، اذ تحرك مجاهدو المقاومة العربية اللبنانية ضد جنود الاحتلال صباح الاربعاء 12 تموز 2006، فقتلوا بعضا وأسروا آخرين. تلك كانت عملية «الوعد الصادق» التي نفذها ابطال المقاومة الاسلامية التي يقودها حزب الله، صادقين لوعدهم.

لقد نفذت المقاومة الاسلامية العربية اللبنانية عمليتها الشجاعة تلك بعد استفراد اسرائيل الاليم الطويل باهلنا في فلسطين، قبل وبعد فوز حماس في الانتخابات. وقد وصل الكيان الصهيوني تحت انظار ما يسمى بالراي العام العربي ومنظماتها المفرغة من اي قيمة، الى حد تجويع الفلسطينيين في ارضهم بعدما حولوها الى سجن كبير، بل ومنع الدواء عنهم، خرقا لاي شريعة وقانون، وباستمرار تصفية خيرة ابناء هذه الامة متى شاؤوا. وقد تمتعت اسرائيل في تلك الفترة بدعم العملاء الفلسطينيين الذين اغتنوا من اتفاقية اوسلو واستمراوا الاحتلال وساهموا في بناء المستعمرات، في حين وصل عدد الاسرى في سجون الاحتلال الاسرائيلي الى 11 الف مجاهد، واضحت الحياة اليومية لاغلب الفلسطينيين في حالة مخيمات اغاثة باقسى حالات العطالة والتهميش. وفي الوقت نفسه، ورغم او بسبب احتداد المقاومة العراقية الباسلة، ازداد تواطؤ جوقة الحكام العرب العملاء القدامى والجدد، وبينهم من كان يدعي اليسارية والقومية والاسلامية والديمقراطية مع الكيان الصهيوني، الذين يحجزون على الحدود الفلسطينيين العائدين الى بلادهم لمشارطة ذويهم حتى في سجنهم، ويمنعون التبرعات من الوصول اليهم، او هم صامتون حماية لعروشهم ومناصبهم.

ان المقاومة العربية الاسلامية في لبنان والعراق وفلسطين، تعبير اصيل عن ارادة هذه الامة ووحدتها.

وهذه الارادة ليست في الصمود والتشبث بحقوقنا فحسب، بل في التصدي والاقتحام ايضا. ولقد دعا قادة المقاومة اللبنانية، وكذلك المراجع المذهبية الشيعية والسنية في لبنان الوطنيين العراقيين للوحدة وتوجيه بنادقهم الى صدور الاحتلال و تفادي الانجرار الى الاحتراب المذهبي الذي ينشطه الموساد في العراق وخارج العراق. وقد تزامن هذا مع مواقف توحيدية من هيئة علماء المسلمين في العراق والتيار الصدري والاطراف الوطنية العراقية الاخرى. بل وحتى وصل الامر بالمنخرطين في العملية السياسية تحت الاحتلال انفسهم بادانة العدوان الاسرائيلي، انعكاسا لحالة معنوية تتطور سريعا في المجتمع العراقي لاسترجاع الوحدة الوطنية التي غالبا ما يكون اعلى درجاتها الموقف من الصراع التاريخي في فلسطين، حيث تلتقي قلوب العرب والمسلمين، وتوضع الخصومات بين الجيران والاخوة مثلما هي مع ايران مثلا في محلها الطبيعي في مواجهة العدو الاكبر المتمثل بالهيمنة الامريكية الصهيونية على بلداننا وثروتنا ومصيرنا.

* عضو الهيئة العراقية للاعلام والثقافة الوطنية

امريكا التي لن تحيد عن عنصريتها ضد العرب ابدا

عمر السالمي*

■ امريكا المنشغلة بذاتها والتي لن تحيد عن عنصريتها ابدا عندما يتعلق الامر بالعرب والمسلمين، لا تابه كثيرا بما يجري في غزة او لبنان، هم يبداون تاريخ الشرق الاوسط من آخره، وهنا انت مطالب ان تثبت دائما انك بريء دونما اتهام. حين دخلت مكتبي اتميز غيظا من معالجة الاعلام الامريكي للقصف الاسرائيلي باسلحة امريكية لغزة ولبنان، ضحك زميلي الاول وهو صومالي امريكي (سني) اما الثاني فهو ايراني (شيعي) فنظر الي بمرارة وكان السؤال منهما: هل انت مندهش؟ ماذا تتوقع؟

حينما يصير قتل اسرائيل للاطفال والمدنيين العرب في غزة وبيروت مساويا للحرب الامريكية على الارهاب، وحين يصير السؤال: ماذا لو قصف المكسيكيون سان دييغو في كاليفورنيا بالكاتيوشا.. الن نرد مثل اسرائيل؟ وحين يتبجح الساسة بالتساؤل: الم تبدأ حماس وحزب الله هذه المعركة بهجومهما على ارض اسرائيل؟ حين يحدث كل ذلك، لا اظن ان عمارا سيقوم يوما بين امريكا الرسمية والشارع العربي.

على مدى ثلاثة ايام وانا اتابع تعليقات الصحف ومحطات التلفزة الامريكية بحثا عن حد ادنى من الموضوعية او آثار قليلة لما يتبجح به ساسة هذه الارض لما يرتبط بالدستور الامريكي، لم اجد شيئا، اصدقائي الامريكيون الذين يعرفون الشرق الاوسط وقضوا اعواما فيه يشاركونني نفس الغيظ، لكننا جميعا نصرخ في البرية.

يخرج الرئيس الامريكي على شاشات التلفاز ليعلن ان من حق اسرائيل ان ترد على هذا العدوان، يتحدث الناطق الرسمي باسم البيت الابيض عن ان امريكا لا ترسم الخطط لحكومة اسرائيل (تزودها بالطائرات التي تقتل العرب فقط) ومن ثم فلاسرائيل الحق ان تفعل ما تشاء دفاعا عن نفسها، يتحدث زعيم الاغلبية في مجلس الشيوخ بيل فريست عن حق اسرائيل فيما تفعل، ويتحدث جنجريتش زعيم مجلس النواب الجمهوري السابق، عن «حربنا ضد الارهاب، وهو ما تفعله اسرائيل تماما».

عندما بدأ القصف الامريكي لغزة، كتب لي مراسل في البيت الابيض رسالة نصية عبر الهاتف المحمول «ابتهج اسرائيل تقصف غزة بالاف 16 الامريكية»، اعرف ان صديقي يحمل تعاطفا للقضايا العربية، واعرف من ابواب بريد القراء وبرامج الـ«توك شو» في الراديو ان نسبة لا تقل عن النصف من الامريكيين تدرك تماما ان خصومة بلادهم مع العرب والمسلمين ناجمة عن انحياز سياسييهم الاعمى لاسرائيل. يباهي اندرياس كوبر النجم الصاعد لشبكة «سي ان ان» بوجوده على خط النار مع كتيبة مدفعية اسرائيلية (هل يذكركم هذا بالصحافيين الذين زرعوا مع الجيش الامريكي في غزوه للعراق) وتقدم «فوكس نيوز» محاضرات مطولة عن ضرورة استئصال حزب الله وحماس وسورية وايران، وحين يراهن القارئ على اصوات ليبرالية مثل «نيويورك تايمز» او اقل محافظة مثل «واشنطن بوست»، يجد ان الليبرالية في امريكا تصلح لاي شيء، الا الصراع العربي الاسرائيلي. هذا موقف مبدئي، العرب الاشرار في مواجهة اليهود الطيبين، الذين يهددهم طوفان العرب القادمين من عصور البداوة.

لم تنشر النيويورك تايمز والواشنطن بوست، اهم صحيفتين في امريكا، صورة واحدة لطفل او امراة لبنانية او فلسطينية بين عشرات الجرحى والقتلى حتى الآن، اكتفت بدمار الشوارع (في اشارة الى الضمير اليهودي الذي لا يلحق قتلى بين المدنيين حتى لو كانوا اعداء) في المقابل كانت كل الصور من اسرائيل، عن المدنيين الآمنين في شمال اسرائيل الذين ازعجتهم نيران الارهاب العربي والاسلامي، لدرجة ان امراة اسرائيلية (قتلت وهي تشرب قهوة الصباح).

حسنا لا قهوة لدينا، نحن لا نحب القهوة وليس لنا اطفال يقتلون بالعشرات، ولكن اليس لدينا احتلال منذ عشرات السنين؟ تكتب النيويورك تايمز والبوست ايضا ناصحة اسرائيل (التي لها كل الحق فيما تفعل) بعدم الغلو في القصف حتى لا تتعقد الامور في ايديها اكثر، صارت ارواح اولادنا وبناتنا رقما في النصيحة التي تقدم لاسرائيل من قبل امريكا، والمعنى ان على اسرائيل ان تقتل عشرين فقط من العرب مقابل كل روح من مواطنيها، ولا داعي للغلو، حتى لا يتعقد الموقف اكثر.

اي حق في احتلال يدوم اربعين عاما؟ واي حق في قتل اطفال غزة على الشاطئ، لم يتذكر احد في الاعلام الامريكي هذه الاسئلة.

حتى الآن لا اعرف سببا للانحياز الامريكي الاعمى لاسرائيل، يقولون ان اللوبي اليهودي هنا اقوى من الادارة، اعرف ان ذلك قد ينطق على سياسيين في ساحة المنافسة يريدون اموالا لحملاتهم الانتخابية او تجنب الصداع الذي تسببه ايباك (التي اتهم عدد من مسؤوليها بالتجسس على امريكا لحساب اسرائيل) لكن ماذا عن سياسيين سابقين لا طموح لهم في منصب رسمي؟ الكسندر هيغ وزير خارجية سابق في عهد ريغان، ولورانس ايغلبرغر (وزير خارجية لبوش الاول) يتحدثون عن حق اسرائيل المطلق في الرد، دون اعتبار لمدنيين او بنية تحتية.

يدفع الامريكي من قوته اكثر من ستمئة دولار سنويا لكل مواطن اسرائيلي، ويدفع من قوته كلما لاح التوتر في الشرق الاوسط، لكنه لا يدرك هذا .. فأينما تولي في امريكا فثمة وجه اسرائيل الديمقراطي الناصع وفي مقابله وجه العرب الارهابيين سفاكي الدماء.

لم ابرأ من غيظي وانا اتحدث الى محللة سياسية امريكية، ضحكت بمرارة وقالت «وماذا عن شعوبكم، خرجتم بالآلاف للاحتجاج ضد الكارتون المسيء للنبي، الا تستحق هذه الارواح البشرية غضبا ومقاطعة لامريكا مثلما تستحق صورة الرسول؟».

لم اجد اجابة هل نحن ام هم مسؤولون عن هذا الهوان.

* كاتب عربي يقيم في واشنطن

عُقد الاستبداد العربي وعقليات إنتاجه

ثائر الناشف*

■ لا تمر حقبة سياسية دون أن تفرز بين ثناياها عُقداً سقيمة، أدت بطبيعة الحال إلى ظهور حالات استبدادية شاذة تراكمت تدريجياً مع مرور الزمن وحركة عقارب الساعة البطيئة، هذه الحالات والتراكمات الناتجة عن تقاعس الشعوب العربية مهدت لبروز عُقد أكثر سقماً، أدت أيضاً إلى بروز كماشة استبدادية سيطرت وفرملت على حركة مجتمعاتها، وبالتالي ضبطتها بين فكيها، كنتيجة لزمت عن بطء دورة حياتها السياسية، وتهربها من جميع استحقاقاتها المطلوب تنفيذها، وغرقها في قاع أيديولوجي آسن، وتمنّعها من تجديد حيويتها السياسية، إضافة إلى ثرائها الفاحش الناجم عن احتكارها للثروات المحلية وتكديسها في جيوب المنتفعين من أصحاب الشأن الرفيع وأبواقها العازفة لألحانها الوطنية الحالمة.

إن تاريخ المجتمعات العربية ذاخر بهذه العقد الاستبدادية منذ القدم، والتي تكونت حديثاً بفعل عوامل نفسية وأخرى سياسية واقتصادية، وطالما أشرنا لهذه العوامل فحريٌّ بنا إجلاء بواطنها بشيء من التفسير الفلسفي وتبصر كل واحدة منها ببصيرة قائمة على المنطق العقلي لا على العواطف القلبية.

فالعامل النفسي لعقدة الاستبداد يرجع إلى سلوك المستبد العربي أو الديكتاتور الشخصي ولا فرق في التسمية فكلاهما وجهان لعملة الطغيان، لكون المستبد لا يشعر بسلوكه إلا من خلال ركوع الآخرين له والامتثال لأوامره طواعية دون تردد، ما يعزز من قوة شخصيته المتأتية من خضوع الشخصيات ذات النفوس الضعيفة لشخصيته، مع العلم أن شخصيته لا يكون لها أي تأثير يذكر على الآخرين في بداية تكوينها النفسي.

وبالانتقال إلى العامل السياسي المتداخل مع العامل الاقتصادي المنتج الرئيسي للاستبداد، فإنه يتم بفعل التفاوت الطبقي الموجود في أغلب المجتمعات العربية، لكن بدرجات متباينة عائدة إلى طبيعة النظام السياسي ودرجة استئثاره بالحكم ودرجة نفعيته به.

إجمالاً لا يوجد مجتمع تتساوى فيه الطبقات كافة خصوصاً في المجالين السياسي والاقتصادي بمنطقتنا العربية، هذا التفاوت تمخض عنه تمزيق النسيج الاجتماعي وخلخلته، لأسباب أشدها وضوحاً – حالة الفقر المدقع بالمجتمع العربي، وما يزيد من اشتدادها حضوراً، دخول الطبقة السياسية الراعي الأول للاستبداد على الخط الاقتصادي الساخن، وبدخولها هذا أحدثت شرخاً عميقاً لأفراد المجتمع، لاقتناعها (الطبقة السياسية) بجدوى مشاركة كل فرد بما يملك من ثروة أو مقاسمته لدخله الشخصي، هذا عدا عن فرضها لعدد من القوانين المعيقة لحركة الاستثمار الأجنبي في مجتمعها.

جميع تلك العوامل ساهمت بدون تردد بغرس شجر الفساد على أرض المجتمع العربي، فالفساد والاستبداد صنوان، ولا يمكن الفصل بينهما لأنهما ينبتان من بذرة واحدة.

والواضح أن العُقد الاستبدادية تزداد يوماً بعد آخر، لخوفها أولاً من الغموض الذي يتربصها، ولعدم وضوح رؤيتها وحسن قراءتها للوقائع والإفصاح عنها ثانيا.

ويضاف إلى هذا الخوف خوف من إيقاظ الرؤوس النائمة بدلاً من طأطأتها، وانتشار الوعي والثقة العليا بالنفس بدلاً من تحطيمها وخداعها، واستغلال الوقت استغلالاً عملياً بدلاً من تفريغه وتعطيله.

في الخلاصة يمكن القول ان البحث عن حل وسطي لهذه العُقد المستفحلة بزمانها ومكانها، مبني على انتشال النفوس المرهونة بضعفها من براثن الخوف وعتق رقابها من سطوته، كما أن حلول تلك العقد مبني أيضاً على كشف خداع المستبدين العرب وكذبهم المشوش والملوث لعقول المجتمع، فالاستبداد له طريقان الأول طويل متعرج والثاني قصير لكنه مشوب بالخوف، فأي الطريقين ستسلك المجتمعات العربية في المرحلة المقبلة ان رغبت حقاً بالوصول إلى بر الأمان؟

* كاتب من سورية

كوميديا «تعقُّلنا» وتراجيديا جنونهم!

جواد البشيتي*

■ إلى إسرائيل يعود الفضل في مَنْعِنا، أي في منعهم، من التحدُّث عن ضرورة وأهمية تمييز «المقاومة الشرعية» من «الإرهاب»، فحكومة اولمرت فضَّلت، هذه المرة، أن تَنْظُر إلى ما قام به حزب الله من عمل عسكري بطولي، عقلاني، مُتْقَن حتى في جانبه السياسي، على أنه «عمل حربي»، أي اعتداء من دولة مستقلة ذات سيادة هي لبنان على دولة مستقلة ذات سيادة هي إسرائيل.

بفضل امتناعها هذا امتنعنا، فدعونا إذ تسربلنا بحكمة تضر ولا تنفع إلى تمييز «المقاومة الشرعية» من «المغامرة غير المحسوبة» العواقب، وكأن المقاومة التي نفشل في إنهائها من خلال تصويرها على أنها «إرهاب» يمكننا وينبغي لنا أن ننجح في إنهائها من خلال تصويرها على أنها «مغامرة غير محسوبة» العواقب، مع أن المقاومة، أكانت في فلسطين أم في لبنان، بذلت جهدا جهيدا لجعل أعمالها العسكرية فوق الشبهات، لا يُرى فيها حتى بالمجهر الإلكتروني شيء من «الإرهاب».

إننا في زمن «الجنون الإسرائيلي»، الذي بين مطرقته وبين سندان «التعقُّل العربي» تقع شعوبنا وقضايانا القومية، فإسرائيل بات لديها من القوة، أي من الضعف العربي الذي هو من صنع أيادينا في المقام الأول، ما يسمح لها بشراء حقوقنا ومصالحنا وقضايانا القومية «الغالية جدا» بثمن بخس يشبه تلك الثلاثين من الفضة التي بيع بها المسيح، وما يرغمنا على أن نشتري «نصراً» صغيرا، وصغيرا جدا، عليها (كمثل أسر جندي واحد من جنودها في غزة أو أسر جنديين اثنين من جنودها في لبنان) بثمن غال، وغالٍ جدا (كمثل تدمير البنية الأساسية والمنشآت المدنية الحيوية.. في غزة ولبنان).

إنني شخصيا لا أستطيع فهم نبذ «المغامرة غير المحسوبة» العواقب إلا على أنها نبذ لـ«المقاومة الشرعية» التي «يمجِّدون»، فماذا يبقى من مقوِّمات لـ«المقاومة الشرعية»، غير مقوِّم «الصلاة» و«الدعاء»، إذا كان القيام بعمل عسكري كمثل الذي قام به حزب الله يُعَدُّ «مغامرة غير محسوبة» العواقب، ولا يمت إلى «المقاومة الشرعية» بصلة؟!

هل «الحكمة»، أو «العقلانية»، تكمن في منع، أو امتناع، حزب الله عن القيام بمثل العمل العسكري الذي قام به حتى نكفي البنية الأساسية اللبنانية شر الجنون العسكري الإسرائيلي (الذي هو الوجه الآخر للتعقُّل العربي) أم في أن يُظْهِر «الحكماء» و«العقلاء» العرب، وما أكثرهم في زمن الجنون الإسرائيلي، من القوة السياسية والاقتصادية.. ما يمنع إسرائيل من الإفراط في جنونها العسكري؟!

قد تسألون «كيف؟» مع أن مصلحتكم لا تغريكم بأن تسألوا مثل هذا السؤال. ومع ذلك أجيبكم